الآن وبها المحل المشهور بالسكاريو وفيه ملهى جميل لتشخيص الروايات وغيرها

وفي اول ابريل سنة ١٩٢٢ ألغي المجلس المحلي بهذه المدينة والحقت اعمالها بمصلحة تنظيم القاهرة وكأن الله اراد ان يعلي بها الى ذروة المجد بين مصحات العالم فالهم حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك فؤاد الاول أن يوجه اليها عنايته السامية وان يحقق ما قلته بين يدي جلالته من ان عاصمة بلاده التي كانت في ايام الفاطميين تمتد من المطرية الى دير الطين وكان الخليج المصري يخترقها فانها ستكون ان شاء الله تعالى في ايام جلالته ممتدة من حلوان ومنفيس الى امبابه وهليوبوليس ويكون النيل في وسطها بدلاً من الخليج

وها هي دلائل هذه البشري واضحة حيث الحقت جميع الجهات المذكورة بعاصمة الديار المصرية ولم يبق لاتمامها الا مدينة منفيس ونرجو ان تضم اليها قريباً وما ذلك على همة جلالة الملك بعزيز

مصطفى منير لدهم

الابولوجيا

(٢)

(٦) انظروا الآن لماذا اقول لكم هذا : سأوضح لكم كيف انتشرت عني هذه الاكاذيب

عند ما سمعت رواية شيريفون سألت نفسي : ماذا يقصد الهاتف من قوله ؟ والى اي مرمى ترمي اشارته ؟ فاني والحق يقال ما عددت نفسي يوماً عالماً بحقيقة شيء من الاشياء رفيعاً كان ام وضيعاً . فاذا يقصد الاله حينئذٍ اذ اشار بانني اعقل الناس ؟

ولقد ظللت فترة طويلة من الزمان غارقاً في لجة من الافكار اطيل التأمل واتابع الاستبصار فيما يمكن ان يكون قصده . وبعد ان ملت التبصر وزهدت نفسي التعمق في اعمال الفكرة عمدت الى خطة سرت الى تنفيذها بان ذهبت الى رجل من الذين اتوسم فيهم العقل والحكمة ظنا مني بأن ادفع قول الهاتف واقول لهُ « هوذا رجل أعقل مني وقد قلت انني اعقل الناس » . واذ حققت النظر في

الرجل — ولا يجدر بي ان اعرّفهُ باسمهِ مع كونهِ من بني جلدتكم يا آل اثينا — استطعت ان اكشف عن مكنونات صدرهِ وخفي طبائعهِ وتمكنت من تجربتهِ ومحادثتهِ وعرفت انهُ يخيَّل الى الكثيرين ان فيهِ فضلاً وعقلاً وهو يظن في نفسهِ ذلك مع انهُ من العقل والفضل براء . وعندما تصدت ان اظهر لهُ انهُ يعتد بنفسهِ ويظن انهُ عاقل مع انهُ ليس عاقلاً ولا اديباً . فتفجرت ينابيع الغضب من وجههِ وتفرغني نفار السليم من الاجرب وجاراهُ في غضبهِ كثير ممن سمعنا فتركتهم وذهبت مفكراً في امر نفسي . واذ ذاك تبادر اليَّ انني على كل حال اعقل من هذا الرجل . ومن المحتمل ان يكون كلانا غير عالم بشيء من حقيقة الخير او الجمال المحض غير انهُ يظن انهُ يعلم منهما شيئاً وهو افرغ من وعاء . اما انا فان كنت استوي معهُ في الجهل فلست مدعياً . ومن هذه السبيل اتضح لي انني اعلى منهُ في العقل ذروةً إذ لا يخيَّل اليَّ على الاقل انني اعرف اموراً لا اعرف منها شيئاً . فتركت هذا الرجل وسعيت الى غيرهِ ممن توسمت فيهم العقل والمعرفة فكان امري معهم كامري مع هذا الرجل ولم تخطىء التجربة احداً منهم . كلهم يولون من وجهي غضباً وهم يفرون من قوة الحق الصراح

***

(٧) وهكذا لم اترك منهم احداً الا خبرتهُ حتى اتيت عليهم الواحد بعد الآخر غير خافٍ عليَّ ما كان يحصل منهم وراء الستار حزيناً لما يقع ووقع لي معهم شديد الخوف من ان ينتهي الامر باهانتي . غير اني على الرغم من هذا كلهِ كنتُ اشعر دائماً بانهُ يجب ان اضع كلام الاله في المنزلة الاولى من نفسي وان اذهب في البحث عنهُ الى النهاية القصوى وان اختبر كل من اتوسم فيهم العلم والمعرفة لعلي اقف على حقيقة ما يقصد الهاتف من قولهِ . واليكم يا آل اثينا نتيجة بحثي وثمرة عنائي. لقد وصلت خلال بحثي الذي الزمني الهاتف ان اسوقهُ بنفسي الى نتيجة من النتائج ذات الخطر العظيم . عرفت ان اكثر الناس شهرة هم اشدهم قصوراً وجهلاً وان الذين تتوهم فيهم انهم اقل منهم منزلة في العلم هم اكثر منهم حكمة واغزر مادة واحدٌ ذهناً يجب ان اظهر لكم في هذا الموقف المخوف ان مجهوداتي لكي اظهر ان ما قالهُ الهاتف حق واقع كان شبيهاً بما يدلهُ « هرقل » في حروب « طروادة » فبعد ان اعيتني الحيل في رجال السياسة رجعت الى الشعراء ومنهم الى كتّاب

الاغاني ومؤلفي الروايات تخيلاً حتى اني اعمل عملا واسعى سعياً. فاذا وجدت نفسي الاّ اشد منهم قصوراً واعلى منهم في الجهالة كسباً فطفقت ابحث في اشعارهم التي يخيل الى المرء انهم صرفوا فيها كل قوى مخيلتهم وحكمتهم سائلاً اياهم عما يقصدون بها لعلي اعرف منهم جديداً او اعلم ما لم اكن اعلم من قبلُ . والآن يا آل اثينا ان وجهي ليندى من قول الحق وقولهُ عليَّ قدر محتوم : وجدت ان كل الذين اتوا الى ندوتنا امكنهم ان يعرفوا منهُ الاشعار ويتكلموا فيها بعبارات اشد طلاوة مما فاه بهِ واصنعوها . غير اني بعد ذلك ثبت على نفسي وادركت ان اوضاع الشعراء لا تفيض من معين الحكمة عن علم بها بل عن سليقة خاصة او الهام كما هي الحال في الانبياء. وانهم ليأتون في اشعارهم بالحكمة وفصل الخطاب غير انهم لا يفقهون مما يقولون شيئاً. ولقد ظهر لي ان الشعراء لا يتغيرون بل يبقون على حالة واحدة تائهين اكثر ادوار حياتهم. ورغم هذا اتضح لي انهم يتيهون بشعرهم عجباً ويظنون انهم ذوو عقل وحكمة وانهم يعرفون اموراً جمة كشفت لهم اسرارها دون الناس. ومامهم منها في قليل ولا كثير . ولذا تركتهم علماً مني بان لي عليهم من خطر السبق في البسط ما لي على رجال السياسة .

***

(٨) انتهى بي السعي الى طائفة العمال الذين يحرزون كسبهم بقوة سواعدهم. وكنت اشعر داعماً بانني غير عالم بحقيقة شيء يمكن ان يكون لهُ قيمة ذاتية . وكنت اعتقد ان هذه الطبقة تعرف اموراً كثيرة واسراراً غريبة تأخذ بالالباب والعقول فلم تخطىء فيهم فراستي . وجدت انهم يعرفون اموراً كثيرة لا علم لي بها ولا دراية لي بحقائقها . فهم بالطبيعة اعقل مني واوسع معرفة واتم حذقاً . غير ان العمال يا ايها الاثينيون لم يكونوا اسعد حظاً من الشعراء في الاعتداد بانفسهم . لان كلاً منهم كان يعتقد انهُ في صناعتهِ اعقل من كل الناس واوقف على اسرار الصناعات من غيرهِ تيهاً واعتداداً بنفسهِ . وهذه الزلة الكبيرة محت لدي حسنات علمهم وحجبت عن الاعين اسرار حكمتهم وعند ذلك سألت نفسي بالاصالة عن الصوت الالهي : اينبغي لي ان اكون على ما فطرت الآن بعيداً عن حكمتهم الصناعية وجهالتهم في الاعتداد بانفسهم او اتشبه بهم في كلا الامرين وهنالك

اجبت على هذا السؤال بالنيابة عن نفسي وبالاصالة عن الصوت : ان من الحكمة ان ابقى على الحال التي انا عليها . بعيداً عن حكمهم مقرونةً بجهالة الاعتداد بالنفس

***

(٩) هذا البحث يا آل اثينا هو الذي اوغر الصدور نحوي ورفع بكم الى الحقد عليّ والنيل مني باشد ما يظهر الحقد في اخبث الوانهِ وألأم ضروبهِ . وتبع ذلك مسألة من التهم والوشايات افتريتموها عليّ وكنيتموني « بسقراط الحكيم او العاقل » ازدراء . فان الذين كانوا يلتقون بي في بعض الطرق كانوا يظنونني حكيماً عاقلاً وكنت اعمل جهد ما استطيع لأبعد هذه الفكرة عن رؤوسهم ورؤوس غيرهم والحقيقة يا ايها الثلاثة ان العقل والحكمة لله . ومن المحتمل ان يكون الصوت الالهي لم يقصد من قولهِ لأ ان يقول لكم « ان الحكمة التي تصل اليها العقول البشرية واهية لا يعتدُّ بها ازاء الحقيقة المطلقة » : ولقد يخيل اليّ انهُ لم يقصد بقولهِ شخص سقراط الذي يتكلم فيكم الآن وانما اتخذ اسمي علماً جامعاً قصد بهِ النوع الانساني كأنهُ يقول لكم : « أيها الناس ان اعقلكم هو الذي يعلم كما يعلم سقراط ان عقلهُ وحكمتهُ لا يغنيان شيئاً » . — هكذا كانت قوائم اتهامي القضية منذ تلك الساعة حتى اليوم مسوقاً بواجب الطاعة العمياء لذلك الصوت العلويّ حيثما صادفت رجلاً من بني جلدتنا او بعيداً عنا اشتهر بالعقل او وصف بالحكمة فان لم يظهر لي انهُ عاقل عمدت بما اعني الآله وأبنت لهُ انهُ ليس بعاقل ولا حكيم. وكنت خلال هذه الفترة التي ابحث فيها بحثي القصي الدائم لا اظهر حقيقة ما يقصد الصوت من قولهِ مكباً كل الاكباب حتى لم اترك لنفسي من الوقت ما يقسم لي ان اعمل عملاً ما غير هذا حتى نسيت شؤوني الشخصية ومصالحي الذاتية : وأني كما ترون اعيش عيشة الفقر المدقع والفاقة الماسة لا تفرغ للقيام بما يجب عليّ نحو الذي فطرني

***

(١٠) ولم يقف بي الامر عند هذا الحد . فان الشباب الذين كانوا يتبعونني متابعة الظل وكانوا في متسع من الوقت وهم ابناء الاغنياء ذوي الاموال الطائلة قد وجدوا في مناقشتي الناس لذة لهم وتفعاً وهم يعملون جهد ما تبلغ مقدرتهم على

حفظ اقوالي وتدوينها ومن ثم يتابعون سؤال الناس ليتحنوهم بها حتى يقفوا على مبلغ علمهم وحكمتهم . وانهُ يخيَّل اليَّ انهم لم يجدوا بين الرجال الذين حادثوهم رجلاً يعرف شيئاً من الحكمة اللهم الا قشوراً لا تسمن ولا تغني من جوع . فمن يتفق ان يناقشهُ تلاميذي يدفع بهِ الغضب الى التحامل عليَّ دونهم ويقول ان رجلاً يقال لهُ سقراط اتخذ التضليل وغرس مبادىء الشر والرذيلة حرفة فافسد عقول الشبان . حتى اذا ما سألتهم عما يعمل سقراط هذا وما هي مبادىء حكمتهِ واساس تعاليمهِ خرست السنتهم وصمت آذانهم ولم يقووا على كلمة يفوهون بها لجهلهم الجهل كله مبادئي وتعاليمي . غير انهم فراراً من موقفهم الذي يلقون بانفسهم في غمراتهِ يأخذون في سرد تلك التهم التي يوجهونها لكل فيلسوف خطت فلسفتهُ حد ادراكهم قائلين : انهُ يتكلم في خلق السماوات وما تحت الثرى ويغري الناس على نبذ المعتقدات الدينية وفكرة وجود الاله ويظهر للناس حسناً ما ليس بالحسن . اولئك لا يتجشمون متاعب البحث وراء الحقيقة وازاحتها في الناس فهم يعتقدون انهم يعرفون شيئاً من مبادىء الحكمة وهم في الواقع لا يعرفون شيئاً غير ان جهلهم وطماعيتهم وسعايتهم وكثرة عددهم وترتيب اعمالهم وسيرهم على نظام موضوع ومثابرتهم على بث النمائم ونشر الوشايات والاكاذيب قد ييسر لهم ان يملاوا رؤوسكم باضاليلهم وما نشروهُ عني من مخازيهم الجلى . وتبعهم في ذلك ميلتاس وانيتاس وليكون : فاخذ ميلتاس قيادة الشعراء . وانيتاس قيادة العمال ورجال السياسة : وليكون قيادة الخطباء : حتى انهُ ليكون من المعجزات كما قلت لكم من قبل لو استعدني الحظ العاثر ان اخرج من اذهانكم آثار تلك الاقاصيص التي نشروها عن هذه الفترة القصيرة التي صحتم لي فيها بالدفاع عن نفسي. هذا هو الحق الصراح يا آثينا لم اترك حقيقة لم اسردها ولم اخف عنكم امراً كبر شأنهُ ام صغر . ورغم هذا فاني موقن بانني قد استثرت بذلك عواطفكم ونبهت كامن حقدكم وفي ذلك الدلالة الواضحة على ان ما قلتهُ الحق وان التهم التي يوجهونها ضدي لا تخرجهُ عما وصفتها بهِ في درج كلامي وان فروضي صحيحة وان استنتاجاتي اصح . ولو فكرتم الآن في الامر او عاينتم مؤونة التفكير فيهِ من بعد لما عدوتم حقيقة شيء مما سمعتم

ستأتي البقية

اسماعيل مظهر